

الرئاسية هي التي تُحدث التغيير. ومن ثم ينبغي، في محاولة فهم لماذا تتصرف اميركا بطريقة معينة، وموضوع معين، بحث نهج صانعي السياسة الاساسيين في واشنطن، والذي يختلف باختلاف هؤلاء، حتى لو واجهوا المشكلات عينها. فعندما يتغير اللاعبون تتغير السياسة. فالنزاع العربي - الاسرائيلي كان هامشياً بالنسبة الى روزفلت وترومان، وأساسياً لدى ايزنهاور، لايمانه باهمية المنطقة في سياسة احتواء الشيوعية؛ واتبعت سياسة جديدة في عهد كينيدي الذي حذب دعم العلاقات مع دعاة الحياد؛ واهتم جونسون بدعم العلاقات مع اسرائيل ومع النظم العربية المحافظة الموالية للغرب؛ لكنه، لانشغاله بحرب فيتنام، لم يستطع التعامل كما يجب مع ازمة الشرق الاوسط المتغيرة، بعد حرب الايام الستة. وجاء نيسكون مصمماً على اعادة بناء العلاقة مع العالم العربي واحلال النفوذ الاميركي محل النفوذ السوفياتي. وتحمس كارتر لتحقيق حل شامل للمشكلة، وعدم التركيز على المناقشة مع السوفيات، ومعالجة القضية الفلسطينية مباشرة، والاهتمام بازمة الطاقة.

ان كل فريق للسياسة الخارجية يجيء بفلسفات وتكتيكات جديدة، ترجع اصولها الى الخبرات الشخصية والمهنية لكبار المسؤولين، والمواقف السائدة في مجموعات التفكير والجامعات، والاهتمامات والمصالح الخاصة بالشركات او البيروقراطيات، ومجموعات المصالح التي شارك فيها القادة الجدد، من قبل ان يتولوا مناصبهم.

ان الصفوة الرئاسية تحكم بافكار سياسية وفلسفات تخلق البيئة التي تتخذ فيها القرارات. ان الرئيس، باعتباره السلطة الاخيرة، هو اللاعب الحاسم والممثل الرئيس واهتماماته تحدد نغمة الفريق، وهو الذي يختار كبار المسؤولين ويحدد لهم الادوار؛ واذا لم يشاركه في رؤياه فلن يظلوا في مناصبهم. ومع ذلك، فكثيراً ما يختلف المسؤولون حول كيف يطبق المنظور العالمي السائد في الشرق الاوسط، خاصة عندما تعطي له الاولوية.

ان التحليل المتعمق للكاتب يوضح الدور الحاسم للرئيس باعتباره واضع جدول الاعمال. ومن يفوز بدعم واشنطن، العرب ام الاسرائيليين وانصارهم الاميركيون امر يتوقف، في نهاية المطاف، على افكار وآراء الرئيس والصفوة الرئاسية.

وتتحدد السياسة وفقاً للعلاقة بين مستشاري الرئيس، ومواقعهم فرادى، وسلطتهم النسبية داخل الادارة.

لكن المؤلف يغفل الاجابة عن حقيقة من يمثله الرئيس، ويفرض له استقلالاً زائفاً ويعزله قدرات خيالية. وهذا يفتقر الى الصحة كلية، خاصة عندما يتولى السلطة رئيس ليست له مواهب، او قدرات، كالجالس، حالياً، على قمة السلطة في واشنطن، والذي يعتبر، بكل المقاييس، دمية تحركها المصالح الحقيقية صاحبة السلطة في المجتمع الاميركي.

لكن شبيغل، مؤلف الكتاب، وهو استاذ للعلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا، يتغافل عن كل هذا عن عمد، ولا شك في ذلك.

كمال سيد محمد